احببت مجهولا

هدير ابراهيم الزغبي

استيقظت ليل مع اول دقات السادسة صباحا كعادتها لتغلق المنبه قبل إعلان وقت السادسة وعشرة دقيقة..

جلست بطرف فراشها ما يقرب من الدقيقة لتتنفس بعمق وقد أغلقت عينيها الجميلتين وهي تعد عدد أنفاس شهيقها..

وكعادة كل صباح بذلك الوقت اخترقت خادمتها تركيزها وهي تقول بابتسامة هادئة: صباح الخير...

تناولت ليل كوب اللبن وهي ترد الصباح باقتضاب لتتهيأ ليوم جديد بعملها الشاق.

اقتحمت ليل مكتبها تمام السابعة بقمة نشاطها بصوت مرتفع نوعا ما: صباح الخير... نسمة أريدك بمكتبي.

رد الجميع صباحها دون النظر إليها لانهماكهم بأعمالهم كموظفي شركة دعاية والإعلان التي تمتلكها ليل.

انطلقت نسمة تحمل ملف ورقي أحمر اللون نحو مرؤوستها ليل التي قالت

مسرعة: أريد مراجعة التصميمات النهائية قبل البدء بالبروفات...

ناولتها نسمة الملف مع ارتفاع صوت الهاتف برسالة عبر بريد ليل الاليكتروني لتنظر الى محتوها بتأفف وتتغير ملامح وجهها لتقول نسمة: هل الرسالة من المهندس بليغ صاحب العمل؟

-لا... أنه نفس الشخص المزعج.

نظرت نسمة نحو الهاتف الملقى بإهمال لتقرأ الرسالة: صباح الخير... قميصك الوردي يكاد يكشف ذراعك بأكمله، أتعلمين إنني أغار عليكِ... أحبك

ابتسمت نسمة وهي تقرأ ملامح ليل الباردة دون انفعال وهي تقول بعصبية: عمل كثير ومجهود ضخم والمحصلة دون المستوى

نسمة بتعجب: كيف هذا؟

امسكت ليل قلمها الرصاص في محاولة لإضفاء بعد الملاحظات بعصبية على التصميم أمامها لتقول: هنا... وهنا... وهنا أيضا... كيف يعقل أن ندمج بعض الصخب بالألوان ممتزجة ببعض الألوان الكلاسيكية لتكن تنورة

المفترض موطنها من دولة آسيوية... لن يصدق المشاهد هذا ويفشل الاعلان...

نسمة: سأعمل على تعديلها.

ليل: أشعر بألم شديد يجتاح رأسي.

- سأذهب لمكتبي وارسل لكِ عامل البوفيه بفنجان قهوتك.

- لا، اريد نسكافية بدلا من القهوة وبعض حبوب الصداع...

خرجت نسمة لتتناول ليل هاتفها دون النظر مرة أخرى للرسالة.

مر اليوم ما بين اجتماعات وتعديل بعض الأعمال حتى بلغت الثانية ظهرا لتستقبل رسالة اخرى لتنظر ليل الي هاتفها لتتحول عصبية ملامحها الى دهشة فابتسامة حائرة لتضحك دون حيلة وهي تقرأ: كنتِ رائعة اليوم... احبك.

أغلقت هاتفها وهي تقول بصوت منخفض: مجنون..

انتهي وقت العمل وعادت ليل لمنزلها، لاحظت أن والدتها شاردة الذهن حتى كادت أن تحرق يدها وهي تعد الطعام، هرولت إليها ليل قائله:

- أمي، ماذا بكِ؟

كدتِ أن تحرقي يدك، ماذا هنالك؟

- ليل يجب أن أخبرك بأمر هام.

بدا على وجه ليل القلق لتردف متسائلة: ماذا بكِ يا أمي لقد أقلقتِني! ماذا هناك؟

- ليل، حبيبتي لقد تقدم شخص للزواج منكِ وقد وافق والدكِ عليه، يجب أن تقابليه يوم الخميس المقبل.

ليل بدهشة متسائلة:

- ماذا؟

تقدم عريس لخطبتي و وافق أبي دون أن يخبرني بالأمر ويجب علي أن أقابله يوم الخميس المقبل، هذا غير عادل يا أمي، أنتي تعلمين أنني لا أريد الزواج الآن فأنا ليس لدي وقت للانشغال بشيء غير العمل، فأنا لن أتزوج وذلك قراري.

ربتت والدتها علي كتفها بحنو قائله: حبيبتي عليكِ فقط أن تقابليه، إن لم تكون مطمئنة لا تقبلي... عزيزتي أنا ووالدك لن نجبرك على شيء لا تريدينهُ،

فقط خذِ وقتك في التفكير وأخبرينا بقرارك بعد المقابلة وليس قبلها.

ليل بضيق: حسنا يا أمي سوف أجلس معه، لكن بعدها سوف أخبرك قراري بمنتهي الصدق، حتى وإن كان قراري هو الرفض.

الأم: حسنا حبيبتي لكِ ما شيءت، هيا نحمل الطعام للخارج قبل أن يبرد.

بعد بساعات قليلة من تناولهم طعام الإفطار أخبرت ليل والدتها إنها ذاهبة للعمل فهنالك أمرٌ عاجل، فتوجهت لعملها وحضرت العرض الأول مع فريق العمل والذي يخص العميل الجديد ويجب عليهم أن يكونوا أكثر حرصًا، شعرت باهتزاز الهاتف داخل حقيبتها، تفقدته لتجد رسالة من الرقم المجهول، محتواها(اشتقت إليكِ أميرتي، كيف حالك، أعدك أن أراكِ قريباً، اعتنِ بنفسك يا ليل، لا إله إلا الله)

عقلها مشوش قليًلا لكنها حاولت أن تسيطر عليه بكل قوتها، لكنها فشلت في ذلك وها هي قد بدأت تفكر في ذلك المجهول، ويكأن شرارة الحب قد اشتعلت بداخلها وهي لا تعلم بعد...

انتهي العرض وعادت ليل تتحدث لوالدتها

- أُمي، لقد عدتُ.

- مرحباً عزيزتي، لقد عاد والدكِ من العمل.

- حسناً، أنا ذاهبة لكي أحادثه بخصوص ذلك المتقدم لخطبتي، هل هو بمكتبهُ.

- نعم عزيزتي إنه بالداخل، ليل لا تفرغي غضبك في والدكِ، فهو لا يريد شيء سوى أن يراكِ سعيدة بحياتك.

- حسناً يا أُمي، أنا أعرف إنه يتمني لي الخير، ومهما كنت في ذروة غضبي فأنا لن أحادث أبي بنبرة صوتٍ مرتفعة، لا تقلقي.

توجهت إلى غرفة المكتب ودلفت بعد أن اذن لها والدها لتقول بهدوء: أبي أريد أن اتحدث معك في أمر ذلك المتقدم لخطبتي؛ فأنا لا أريد الزواج الآن.

الأب: حبيبتي أنا لن أُجبركِ على الموافقة، ولكن على الأقل اجلسي معه، فمن الممكن أن يدق قلبك له، قلبك هذا الذي توقف عن النبض منذ وقتٍ طويل.

ليل:- ومن قال لك أن قلبي لم يدق بعد، أبي أنا أُحب شخصًا ما، ولا أريد أن أتزوج من شخصٍ سواهُ.

الاب:- حسنًا عزيزتي لكِ ما شيءت، سوف أُهاتف طارق و أبلغه بعدم

موافقتك، لكنك ستعرفني علي ذلك الشخص الذي إستطاع أن يقتحم قلبك ويسكن به.

ليل:- حسنًا يا أبي سوف أُعرفكَ عليه، لكن ليس الآن فكل شيء أفضل في وقته المناسب، عمتَ مساءًا.

الاب:- تصبحين علي خير يا صغيرتي.

ذهبت ليل الي غرفتها وابدلت ثيابها، كادت أن تغفو، الا أن صوت هاتفها لم يعطها الفرصة، تناولته لتجد رساله من ذلك المجهول، وكان محتواها(أنتِ تزعجين نفسك دون سبب، عليك بالاسترخاء فكل شيء سيكونُ على ما يرام، كل شيء سيمر عليكِ فقط أن تتماسكِ بوجه الصعاب، أنا بجانبك ولن أتركك)..

لا تعلم ليل لماذا شعرت براحة عندما قرأت تلك الرسالة، ولا تعلم أيضًا لما أخبرت والدها إنها تحبُ شخصًا ما، لا تعلم لماذا؟

لكنها تعلم أن لكل شيء سبب و ذلك كافٍ بالنسبة لها، غفت وهي تفكر في مجهولها الذي يبعثُ لها بتلك المراسيل وتُحدث نفسها متسائلة: تُري من يكون؟

غلبها النوم فاستسلمت وراحت في ثُبات عميق حتى صباح اليوم التالي استيقظت وهي بكامل طاقتها، أدت كل روتينها اليومي وخرجت من منزلها متوجهة إلى مقر عملها وعندما وصلت الى الشركة اتتها رساله من مجهولها فحواها...

(ليل كل شيء سيحل عليكِ أن تطبقي فقط نصيحتي لكِ، ولا تخافي من شيء فأنا معك وحولك وبداخلك أيضًا لكنك تتكري ذلك)

تلفتت ليل حولها ولم تجد من يراقبها ولا من يثيرُ شكها، ترددت أن تبعث له برسالة ولكنها حسمت أمرها، ستراسله لتعلم من هو فقط ليس لشيء آخر، بعثت له رساله وكان نصها كالاتي

(من أنت ولماذا تطاردني؟

ماذا تريد مني؟

إن كنت تبحث عن الحب فأعلم أن قلبي لم ولن يدق لأحد، وذلك أمرًا محسوم، لذا لا تجهد نفسك ولا تبذل مجهودًا في شيء لن يحدث بتاتًا)

انتظرت أن تتلقى جواب على رسالتها ولكن!!

لا يوجد من يجيبها حتى انقضي اليوم وازداد توترها وبُعث بداخلها نار

جزمت إنها لو رأت ذلك المجهول لأحرقته ندمًا على أنها من راسلته وهو من أهمل بعدما كاد يجن بسبب عدم اجابتها على رسائله ولكن الآن أصبح العكس...

دخلت ليل مكتبها وباشرت عملها، لكنه لم يتركها ولو ثانية ويكأنه سكن بأعماق عقلها وأبى أن يتركها، بعد دخولها للمكتب اكتشفت إن مشكلة العميل التي قد تسببت في توترها أمس قد حُلت، وعندما سألت عن الشخص الذي وجد الحل أخبروها إنه موظف جديد، ولما طلبته كي تشكره أخبروها إنه ترك العمل صباح اليوم، لا تعلم لماذا شعرت بالضيق لكنها نحّت الفكرة جانبًا واستمرت تواصل العمل باقي اليوم وهى تشعر بالوحدة، لأن مجهولها لم يبعث لها رسائل اليوم من بعد رسالته الأخيرة، أنهت العمل وعادت للمنزل ليخبرها أن طارق علم برفضها وهو تقبل الموضوع بصدر رحب.

مر يومان على ذلك المنوال لم يحدث شيء جديد، كما أن مجهولها لم يراسلها طوال اليومين الماضيين، تيقنت أنها أحبته من البداية لكنها كانت تماطل بذلك، انتظرته حتى يجيبها ولكن دون جدوي.

مر اليوم بدون جديد، ولم تذهب ليل لعملها بل أنها أمضت اليوم بغرفتها

تنتظر رسالة من المجهول وبعد أن كادت تفقد الأمل أنه سيجيب عليها لكنه أخيرًا أرسل لها كلماته...

(أسف لأنني لم أُراسلك طوال اليومين الماضيين، لكنني أردت أن أترك لكِ مساحة من التفكير في حقيقة مشاعرك تجاهي، إن كنتِ تشعرين ولو بواحد في المائة إنكِ تحبينني، فأنا أنتظرك غدًا في كافيتريا(....) في تمام الساعة السادسة مساءًا وإن لم تأتِ سوف أخرج من حياتك للأبد)..

اجتاحت السعادة قلبها أخيرًا ستعرف من هو الذي أحبته من خلف الشاشة، والذي اقتحم قلبها وأعاد له الحياة من جديد لينبض بدفء مشاعرها ومحبتها له، بات ليلتها تنتظر الغد على أحر من الجمر...

في صباح يومٍ جديد أشرقت الشمس محملة بالسعادة...

استيقظت ليل وهي متفائلة فاليوم موعدها مع حبيبها المجهول الذي لا تعرف اسمه حتي هذه اللحظة.

أدت ليل فرضها وأنهت رُوتينها وباشرت بالحديث مع والديها بأمر ذلك المجهول.. وعندما حادثتهم اندهشت بموافقتهم على الفور ولكنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد من كثرة سعادتها، وحين دقت الخامسة مساءًا؛ نزلت من منزلها وتوجهت إلى المكان المتفق عليه، عندما دلفت وجدت أن المكان

مظلم ظلت تنادي عسى أن يسمعها أحد لكن لا حياة لمن تنادي، فقررت أن تخرج ولكن أنيرت الأضواء، اندهشت ليل عندما لمحت والديها واصدقائها وفريق عملها يصفقون بسعادة، ووجدت شخص يقف ويعطيها ظهره ويبدو إنه ممسكًا شيئًا بين يديه، عندما استدار اكتشفت إنه ليث الموظف الذي كان يعمل بالشركة لكنه استقال بعد أن وجد حل لمشكلة العميل... وقبل أن تكمل ليل تفكيرها وجدت ليث يجثو على ركبتيه وبيده علبة قطيفة بها خاتم غاية في الرقة... قبل أن تفيق من دهشتها مما يحدث وجدته يقول..

ليث:- ليل، أُحبك من سنوات ولم أُخبركِ بذلك، لأنني كنت أعلم بأنك لا تؤمنين بالحب ولا تصدقينه، لكنك الآن تؤمنين به، سأكون أسعد مخلوق إن قبلتِ الزواج بي... والآن هل تقبلين الزواج بي يا ليلي؟

- لم أكن اؤمن بالحب ولا بالمشاعر، أحببتك ولم أكن أعلم حتى ما هو أسمك، تعلقت بك من رسائلك، صدقني مهما بحثت عن شخص يحبني وأحبه لن أجد من يعشقني مثلك، وانا لن أصبح متيمة بغيرك... نعم أقبل الزواج منك ليثي.

وسط الحاضرين قام ليث باحتضانها ودار بها حتى كادت أن تفقد وعيها من فرط سعادتها.... (جئتني بعد عذاب لتذيب جليد قلبي)....

***